وازاء هذا الواقع العربي الزري يعيش الشعب الفلسطيني بالاضافة الى مأساة الغربة عن الوطن المحتل مأساة الخيانة واللامبالاة العربية التي تلبس اثواب الوطنية والتقدمية محاولة بذلك ان تختفي وراء هذه الاقنعة المواهية ، فيبدو الواقع اكثر ايلاما . وتظل أرض الوطن تحت الاحتلال بينما تتلهى الانظمة العربية بالتساؤل عن جدوى القتال ، وتساوم — بقبولها مشاريع الحلول المستوردة — على بضعة امتار مما تعتبره أتربة ووحولا ، لانها عاجزة عن خط الفعل المحول :

وما الارض ؟ ما قيمة الارض ؟
أتربة ووحول ، نقاتل او لا نقاتل ؟ ليس مهما سؤالك
ما دامت الثورة العربية محفوظة في الاناشيد والعيد والبنك
والبرلمان(٦٤).

هنا تتجسد مأساة الشعب العربي بالواقع الفاسد ، حين يفقد الوطن قيمته المعنوية ويصبح قطعة من أرض ، وحين يستغل اسم الثورة للتهرب من القتال ، وحين يتحجر معنى الثورة ويتحول من فعل يولد الانبعاث الى ستار تختفي وراءه العيوب ، فيمتنع الانبعاث الصحيح . ولكن هذه الارض ليست أتربة ووحولا للفلسطيني . هي جزء من ذاته : فعصير ثمارها يجري في شرايينه ، وحقولها محفورة في كفه ، ومساء كرملها يعيش في ذاكرته :

... ولكنها وطني
من الصعب ان تعزلوا
عصير الفواكه عن كريات دمي
ولكنها وطني
من الصعب ان تجدوا فارقا واحدا
بين حقل الذرة
وبين تجاعيد كفي
ولكنها وطني ..
لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة
وبين المساء الذي يسكن الكرملا(٦٥).

لكن مأساة الهزائم المتكررة ومهزلة التخاذل العربي المتمثل في البحث عن افضل العروض الدولية لاكتساب بضعة أمتار اضافية من «الاتربة والوحول» دفعت الشعب الفلسطيني الى أن يهب رافضا ان تكون الخيمة وطنا له وهوية ، ويذهب هو للقتال ليفتدي ارض الوطن :

وليست خيامك ورد الرياح ، وليست مظلات شاطىء
تدجج باعمدة الخيمة ، احترقي يا هويتنا — صاح لاجيء(٦٦).

ولكن الفلسطيني الثائر لا يواجه حربا واحدة بل حربين ، لان « ما الفرق بين الغزاة وبين الطغاة »(٦٧). ففي الوقت نفسه الذي يقاوم فيه الاحتلال ، عليه ان يخوض حربا ضد وجود التخلف في الداخل ، التي فرضت على الشعب العربي الهزائم المتواصلة ؛ « وحربك حربان . حربك حربان . سرحان !... »(٦٨). لذا يتوجب على الانسان العربي ان يخلق الحضارة العربية الجديدة ، لان المعركة ضد الاحتلال الصهيوني ليست مجرد حرب ننتصر فيها او نهزم ، بل هي صراع حضاري طويل .

يبقى السؤال : ما هي قيمة ديوان « أحبك او لا احبك » الفنية ، وماذا اضاف الى تجربة محمود درويش الشعرية ؟ لا شك في ان هذا الديوان يعتبر نقطة تحول جديدة في مسيرة محمود درويش الشعرية ، او هو تطوير للتحول الذي بدأ في « العصافير تموت